تقديم

يعتبر عمال الزراعة والتراحيل من أكثر فئات المجتمع المصرى معاناة.

وقد عاشت هذه الفئة التى تجاوز عددها فى بعض مراحل تطور المجتمع المصرى عدة ملايين ظروفا بالغة الصعوبة، حيث فرضت عليها ضرورات الحياة الاغتراب عن مناطق إقامتها، والنزوح إلى مناطق نائية يعيشون فى العراء .. لا يجدون ما يأكلونه سوى العيش الحافي، والمش فى كثير من الأحيان، تنهشهم الأمراض الفتاكة، يلسعهم برد الشتاء القارص وحرارة الصيف القائظ. وذلك من أجل الحصول على قروش معدودة .. لعلها تمكنهم من إعالة أسرهم. وقد اهتم المناضل الاشتراكى عطية الصيرفى لعمال التراحيل منذ فترة مبكرة، وتابع أحوالهم وعرض لمعاناتهم فى الكثير من المقالات فى الصحف، والدوريات، وكان له فضل طرح قضايا عمال التراحيل على جدول أعمال الحركة الاشتراكية بصفة دائمة. ويسعدنا فى «مركز البحوث العربية والأفريقية» أن نقدم هذا الكتاب «تاريخ عمال الزراعة والتراحيل فى مصر والعالم» الذى يعالج الجزء الأول منه، هذا التاريخ منذ عهد السخرة حتى ١٩٦٩، ليكون فى مقدمة الأعمال التى تصدر بالتعاون مع مكتبة «جزيرة الورد»، آملين أن نتمكن من إصدار الجزء الثانى فى توقيت ملائم حتى تكتمل المعرفة بهذه الفئة العريضة من الشعب المصرى.

القاهرة فى ١٥ مايو ٢٠١٠

عبد الغفار شكر

obeikan.com

مقدمة

باعتباري عاملاً نقابيًا اشتراكيًا منذ صباي وبداية شبابي فقد تمكنت من تثقيف نفسي بنفسي في الحياة وخلال فترات السجون والمعتقلات والتشرد، والتشريد بفضل ما حصلت عليه من خبرات عمالية ونقابية وما حصلت عليه أيضاً من وعي طبقي ، ومن ثم استطعت مبكراً جداً ممارسة توظيف القلم والنون من قلب المكابدة دون المشاهدة حيث أصبحت عرضحالجي الطبقة العاملة التي باتت همومها همومي وقضاياي ومسئولياتي الاجتماعية والأخلاقية حتى يومنا هذا..

ونظراً لأن الزملاء من عمال الزراعة والتراحيل يمثلون الشريحة العمالية المنسية من المجتمع والمنسية أيضاً من الحياة العمالية والنقابية الحديثة. وهذا ما دفعني إلى محاولة كتابة تاريخهم : تاريخ عذابهم وجوعهم ، واستعبادهم في مصر والعالم.. ولقد بدأت المحاولة فور الإفراج عني من معتقل المحاريق بالواحات في الشهور الأخيرة من عام ١٩٦٤ ..حيث حضرت مؤتمراً سلطوياً بشأن عمال الزراعة والتراحيل في بلدي ميت غمر باعتبارها موطناً رئيسياً لعمال التراحيل حيث استفزني هذا المؤتمر الذي كان مؤتمراً سلطوياً تماماً حضره كبار المسئولين في وزارة الشئون الاجتماعية (وزارة القوى العاملة حالياً).. أما حضور هذا المؤتمر فقد كان من عمد البلاد

ومشايخ البلاد وصغار المقاولين تعرفهم من سيماهم ، ووجاهتهم وملابسهم الكشميرية ، وطواقيهم المصنوعة من وبر الإبل..

ولقد حضر هؤلاء السادة باعتبارهم عمال الزراعة والتراحيل. ومما استفزني أيضاً ما سمعته من مسئول كبير في وزارة الشئون الاجتماعية الذي طالب السادة الحاضرين من العمد والمشايخ وصغار المقاولين وقادة الاتحاد الاشتراكي.. بضرورة تأسيس لجان نقابية لعمال الزراعة والتراحيل بناء على تعليمات السيد الوزير..

ولكن تعليمات السيد الوزير هذه قد نبهتني إلى أن الحركة العمالية والنقابية ونقاباتها العمالية قد صارت نقابات سلطوية ، ونقابات شمولية وعنصرية تابعة للحزب الحاكم حزب الاتحاد الاشتراكي وقتئذٍ.. وعندئذٍ تولدت في خاطري فكرة التعددية العمالية والنقابية ذات المضمون الديمقراطي المؤدي إلى مضمون الخبز والحرية..

وبالتالي فقد بدأت في إعداد هذا الكتاب. كتاب تاريخ عمال الزراعة والتراحيل في مصر والعالم منذ عهد السخرة حتى عام ١٩٦٩ حيث كانوا يعيشون حياة الاستعباد والعبودية سواء كانوا في الهند ، والصين ، واليابان ، وأفريقيا ، وأوربا وأمريكا رغم أنهم بناة السدود والقناطر وخطوط الطرق والسكك الحديدية بالإضافة إلى حفر المناجم والترع والرياحات وإنشاء المزارع الكبرى مثل : فيرستون للكاوتش ومزارع الفول السوداني في أفريقيا..

وفي مصر تحدث الكتاب حديثاً طويلاً عن حياة عمال الزراعة والتراحيل من أيام السخرة في مصر محمد علي ومصر شبه المستعمرة ومصر شبه الإقطاعية والرأسمالية حيث كان الفضل كل الفضل لهؤلاء العمال في بناء القناطر الخيرية رغم انتشار مرض الطاعون وفي حفر الترع ، والرياحات وإنشاء الطرق ، وبناء خطوط السكك

الحديدية وحفر قناة السويس والتخديم على الجيوش البريطانية في الحرب العالمية الأولى كل هذه الأشغال كانت السخرة والعمل الإكراهي لعمال الزراعة والتراحيل..

ثم تحدث الكتاب عن أحوال هؤلاء العمال المعيشية والسرية حتى قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ التي زادت من أجورهم، وسمحت لهم بقيام نقابات عمالية. نقابات ذات طبيعة سلطوية وكما قدمت لهم ثورة يوليو بعض المشاريع التي تتولى تشغيلهم بطرق إدارية لا تنفع ولا تشفع.. وأخيراً فلعَّل هذا الكتاب يكون مرجعاً لعلماء التاريخ والاجتماع في مصر المحروسة.. والله الموفق.

ميت غمر ١٩٦٩

obeikan.com